مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَافِعِ مَنَارِ الْعِلْمِ، وَجَاعِلِهِ عِصْمَةً لِلْأَنَامِ، وَمُشَرِّفًا أَهْلَهُ بِأَعْظَمِ الْمِنَنِ وَالْإِنْعَامِ، إِذْ جَعَلَهُمْ أَوْعِيَةً لِحِفْظِ السُّنَنِ وَالْأَحْكَامِ، يَنْقُلُهُ خَلْفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، وَيَحْفَظُونَهُ مِنَ التَّمْوِيهِ وَالتَّحْرِيفِ وَالْأَوْهَامِ، وَقَيَّضَ لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ مَنْ يَذُبُّ عَنْهَا الضَّعِيفَ وَالْمَوْضُوعَ والسَّقِيمَ، وَفَتَحَ عَلَى شَارِحِيهَا بِفَيْضِ التُّحَفِ وَالْإِفْهَامِ، فَيُوَضِّحُونَ مُشْكَلَهَا وَيُفَسِّرُونَ غَرِيبَهَا وَيُحَرِّرُونَ مَسَائِلَهَا وَيَلُمُّونَ بِأَطْرَافِهَا أَحْسَنَ إِلْمَامٍ، وَوَفَّقَ نَاشِرِيهَا لِإِخْرَاجِ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ وَالتُّحَفِ الْعِظَامِ، بِحُسْنِ إِقْدَامٍ وَثُبُوتِ أَقْدَامٍ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَخَيْرِ الْأَنَامِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْبَرَرَةِ الْكِرَامِ، الَّذِينَ جَابُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، يَفْتَحُونَ الْبِلَادَ لِلْإِسْلَامِ، لِيُخْرِجَ لَنَا مِنْهَا أَفْذَاذًا عِظَامًا، قَدْ صَنَعُوا تَاجًا مِنْ لُؤْلُؤٍ عَلَى هَامِ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ، وَصَارَتْ مَنْزِلَتُهُمْ فَوْقَ أَعْنَاقِ الْمُلُوكِ وَالْعَوَامِ.

أَمَّا بَعْدُ....

فَكُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ ... إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ وَالدِّينِ

الْعِلْمُ مَا قَالَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ

وَشَرَفُ الْعِلْمِ مِنْ شَرَفِ الْمَعْلُومِ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ وَمَعْلُومٌ، فَلَمَّا كَانَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ - بِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ سَنَدًا وَمَتْنًا وَشَرْحًا وَإِخْرَاجًا - مُتَعَلِّقًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَارَتْ لَهُ الْمَنْزِلَةُ الْعُظْمَى وَالْمَكَانَةُ الْكُبْرَى بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ أَشْرَفُ مَكْتُوبٍ وَأَعْظَمُ مَعْلُومٍ، فَإِنَّهُ لَا يُبَيِّنُ غَامِضَهُ وَلَا يُوَضِّحُ مُشْكَلَهُ وَلَا يُفَسِّرُ مُجْمَلَهُ وَلَا يُقَيِّدُ مُطْلَقَهُ وَلَا يُخَصِّصُ عُمُومَهُ بِمِثْلِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

لِذَا فَإِنَّ عِلْمَ الْحَدِيثِ وَتَفَهُّمَ مَعْنَاهُ هُوَ عِلْمٌ عَذْبُ الْمَشْرَبِ، رَفِيعُ الْمَطْلَبِ، مُتَدَفِّقُ الْيَنْبُوعِ، مُتَشَعِّبُ الْفُصُولِ وَالْفُرُوعِ، فَهُوَ عِلْمٌ رَفِيعُ الْقَدْرِ، عَظِيمُ الْفَخْرِ، شَرِيفُ الذِّكْرِ، لَا يَعْتَنِي بِهِ إِلَّا كُلُّ حَبْرٍ، وَلَا يُحْرِمُهُ إِلَّا كُلُّ غِمْرٍ، وَلَا تَفْنَى مَحَاسِنُهُ عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ، وَهُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ فِي الْمَعَادِ، وَأَرْجَاهَا عِنْدَ رَبِّ الْعِبَادِ، وَلَهُ أَئِمَّةٌ وَجَهَابِذَةٌ وَنُقَّادٌ، عَدَّلُوا رِجَالَهُ وَجَرَّحُوا، وَشَرَحُوا أَلْفَاظَهُ وَأَوْضَحُوا.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قَالَ: هَذَا أَكْبَرُ شَرَفٍ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ، لِأَنَّ إِمَامَهُمْ هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُمْ أَصْحَابُ الْوُجُوهِ النَّضِرَةِ الَّذِينَ دَعَا لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا...**».

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَحَدٌ إِلَّا وَفِي وَجْهِهِ نَضْرَةٌ؛ لِهَذَا الْحَدِيثِ؛ لِذَا فَقَدْ أَقْدَمَ مَنْ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِنُضْرَةِ وُجُوهِهِمْ وَمُصَاحَبَةِ نَبِيِّهِمْ؛ لِجَمْعِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَجُوبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا؛ بَحْثًا عَنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ سَنَدًا وَمَتْنًا وَحِفْظًا وَشَرْحًا وَتَصْنِيفًا، فَتَعَدَّدَتِ الْمُصَنَّفَاتُ الَّتِي

تَحْوِي أَحَادِيثَ خَيْرِ البَرِيَّاتِ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ، فَمِنْهَا الْجَوَامِعُ، وَالسُّنَنُ، وَالْمَسَانِيدُ، وَالْمُسْتَدْرَكَاتُ، وَالْمُسْتَخْرَجَاتُ، وَالْمَعَاجِمُ، وَالْأَجْزَاءُ... .

إِذَا الْمَكَارِمُ فِي الدُّنْيَا أُشِيدَ بِهَا كَانَتْ كِتَابًا وَكُنَّا نَحْنُ عُنْوَانَا

وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ رَجُلُ المِئَةِ الثَّالِثَةِ، جَبَلُ الْحِفْظِ، وَأُعْجُوبَةُ الزَّمَانِ، وَسَمَاءُ الْهِمَمِ، وَصَخْرُ الْعَزَائِمِ، لَمْ يَمْنَعْهُ فُقْدَانُ بَصَرِهِ أَنْ يُزَاحِمَ ذَوِي الْبَصَائِرِ، بَلْ سَادَ عَلَيْهِمُ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ النَّاقِدُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ، فَقَرَّرَ أَنْ يَجُوبَ الدُّنْيَا وَيَرْكَبَ الْبَحْرَ وَيَشْرَبَ الصَّبِرَ؛ لِيَجْمَعَ كُلَّ كَلِمَةٍ قَالَهَا الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ وَيَحْفَظَهَا وَيَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ قَائِلِهَا بِنَفْسِهِ دُونَ وَاسِطَةٍ، فَيَعْلُو بِهِ النَّقْلُ وَالتَّوْثِيقُ التَّارِيخِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَهُمُّهُ بَرْدٌ وَلَا حَرٌّ وَلَا جُوعٌ وَلَا عَطَشٌ وَلَا تَعَبٌ وَلَا فَقْرٌ مَا دَامَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَالْحُرُّ لَا يَكْتَفِي مِنْ نِيلِ مَكْرُمَةٍ حَتَّى يَرُومَ الَّتِي دُونَهَا الْعَطَبُ

يَسْعَى بِهِ أَمَلٌ مِنْ دُونِهِ أَجَلٌ إِنْ كَفَّهُ رَهَبٌ يَسْتَدْعِهِ رَغَبُ

فَأَخْرَجَ لَنَا رَوْضَةً مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَرَبْوَةً مِنَ الْأَدَبِ السَّلِيمِ، وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْعُلُومِ، جَمَعَ فِيهِ فِقْهًا وَعَقَائِدَ وَتَفْسِيرًا وَأَحْكَامًا وَأَشْرَاطًا وَمَنَاقِبَ وَتَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا، فَكَانَ لَهُ مِنِ اسْمِهِ نَصِيبٌ (**الْجَامِعُ الصَّحِيحُ**) وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ الْكُتُبِ تَأْلِيفًا، وَأَجْمَعِهَا تَصْنِيفًا، وَهُوَ أَحَدُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ الَّتِي اتَّفَقَ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالْفَضْلِ وَالنَّقْدِ عَلَى قَبُولِهَا وَالْحُكْمِ بِصِحَّةِ أُصُولِهَا وَمَا وَرَدَ فِي أَبْوَابِهَا وَفُصُولِهَا.....

ولله دَرُّ مَنْ قَالَ فِيهِ:ـ

كِتَابُ التِّرْمِذِيِّ غَدَا كِتَابًا يُعَطِّرُ نَشْرُهُ مَرَّ النَّسِيمِ

فَفَاقَ مُصَنَّفَاتِ النَّاسِ قُدْمًا وَرَاقَ فَكَانَ كَالْعَقْدِ النَّظِيمِ

وَجَاءَ كَأَنَّهُ بَدْرٌ تَلَأْلَأَ بِسَبَرِ غَيَاهِبِ الْجَهْلِ الْعَظِيمِ

لِذَا فَقَدْ أَكَبَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى شَرْحِهِ وَالتَّعْلِيقِ عَلَيْهِ، فَتَعَدَّدَتْ عَلَيْهِ الشُّرُوحُ مِنْهَا: عَارِضَةُ الْأَحْوَذِيِّ لِلْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، والمُنْتَقَى الشَّذِيُّ لِابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ، وَشَرْحٌ لِلْعَرَاقِيِّ، وَشَرْحٌ لِلْحَافِظِ ابْنِ الْمُلَقِّنِ، وَشَرْحٌ لِلْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ، وَشَرْحٌ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، وَمِنْهَا شَرْحُ الْحَافِظِ عُمَرَ بْنِ رَسْلَانَ الْبُلْقِينِيِّ سَمَّاهُ (**الْعَرْفُ الشَّذِيُّ**)، وَمِنْهَا شَرْحُ الْحَافِظِ السُّيُوطِيِّ سَمَّاهُ (**قُوتُ الْمُغْتَذِي**)، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ قَامُوا بِشَرْحِ جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ إِمَامُ الْعَصْرِ وَمُسْنَدُ الْوَقْتِ الْمُحَدِّثُ الْكَبِيرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِالرَّحِيمِ الْمُبَارَكْفُورِيُّ، وَشَرْحُهُ أَعَزُّ شَرْحٍ لِلتِّرْمِذِيِّ، مَا ظَهَرَ فِي الْبَرِيَّةِ مِثْلُهُ، وَطَارَ إِلَى الْآفَاقِ فِي أَيَّامٍ قَلَائِلَ، وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ، حَيْثُ رُزِقَ هَذَا الْكِتَابُ حُسْنَ الْقَبُولِ وحَوَى مَعَارِفَ وَعُلُومًا وَحِكَمًا وَحَقَائِقَ، تُنَشِّطُ الْقُلُوبَ والأَذْهَانَ، وَتُشَنِّفُ الْمَسَامِعَ وَالْآذَانَ، أَتَى فِيهِ بِبَدَائِعَ وَفَوَائِدَ شَرِيفَةٍ، وَحَقَائِقَ وَمَبَاحِثَ مَصُونَةٍ، وَمَعَارِفَ سَامِيَةٍ تَطْمَئِنُّ لَهَا النَّفْسُ وَيَنْشَرِحُ لَهَا الصَّدْرُ، وَسَمَّاهُ (**تُحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ شَرْحُ جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ**)..

تَرْجَمَةُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ(*)

- **اسْمُهُ وَنَسَبُهُ:**

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سُورَةَ بْنِ مُوسَى بْنِ الضَّحَّاك، وَقِيلَ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ يَزِيدِ بْنِ سُورَةَ بْنِ السَّكَنِ: الْحَافِظُ، الْعَلَمُ، الْإِمَامُ، الْبَارِعُ، أَبُو عِيسَى السُّلَمِيُّ التِّرْمِذِيُّ الضَّرِيرُ، مُصَنِّفُ «الْجَامِعِ»، وَكِتَابِ «الْعِلَلِ»، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

- **مَوْلِدُهُ:**

وُلِدَ فِي حُدُودِ سَنَةِ عَشْرٍ وَمِئَتَيْنِ. بِقَرْيَةِ بُوغَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى تِرْمِذَ وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ، وَتِرْمِذُ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُدُنِ رَاكِبَةٌ عَلَى نَهْرِ جَيْحُونَ مِنْ جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ.

قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: وَتِرْمِذُ بِالْكَسْرِ هُوَ الْمُسْتَفِيضُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ حَتَّى يَكُونَ كَالْمُتَوَاتِرِ. وَقَالَ مُؤْتَمَنُ السَّاجِي: سَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ: هُوَ بِضَمِّ التَّاءِ. وَنَقَلَ الْحَافِظُ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ الْيَعْمُرِيُّ أَنَّهُ يُقَالُ فِيهِ: تَرْمَذُ، بِالْفَتْحِ.

- **رِحْلَتُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ:**

قَالَ الذَّهَبِيُّ: طَافَ الْبِلَادَ وَسَمِعَ خَلْقًا مِنَ الْخُرَاسَانِيِّينَ وَالْعِرَاقِيِّينَ وَالْحِجَازِيِّينَ.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَارْتَحَلَ، فَسَمِعَ بِخُرَاسَانَ وَالْعِرَاقَ وَالْحَرَمَيْنِ، وَلَمْ يَرْحَلْ إِلَى مِصْرَ وَالشَّامَ.

- **شُيُوخُهُ:**

حَدَّثَ عَنْ: قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو السَّوَّاقِ الْبَلْخِيِّ، وَمَحْمُودِ بْنِ غَيْلَانَ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى الْفَزَارِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ مَنِيعٍ، ...وَعَمْرٍو بْنِ عَلِيٍّ الْفَلَّاس، وَعُمْرَانَ بْنِ مُوسَى الْقَزَّازِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبَانَ الْمُسْتَمْلِي، وَمُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ الرَّازِي، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالْأَعْلَى، وَمُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ، وَمُحَمَّد بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رُزْمَة، وَهَنَّادِ بْنِ السَّرِي، وَأَبِي هَمَّامٍ الْوَلِيدِ بْنِ شُجَاعٍ، وَيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ، وَيَحْيَى بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَرَبِي، وَيَحْيَى بْنِ دَرَسْتَ الْبِصْرِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِاللَّهِ الْهَرَوِيِّ، وَسُوَيْدِ بْنِ نصرٍ الْمَرْوَزِيِّ. وَغَيْرِهِمْ، وَمِنْ أَجَلِّ شُيُوخِهِ الْبُخَارِيُّ.

(*) انظر ترجمته في تهذيب الكمال: ١٢٥٥/٣. تهذيب التهذيب: ٣٨٧/٩. تقريب التهذيب: ١٩٨/٢. خلاصة تهذيب الكمال: ٤٤٧/٢. الكاشف: ٨٦/٣. ميزان الاعتدال: ٦٧٨/٣. لسان الميزان: ٣٧١/٧. الأنساب: ٣٦١/٢، ٤٢/٣. ثقات: ١٥٣/٩. المعين: ١١٧٨. الوافي بالوفيات: ٢٩٤/٤. طبقات الحفاظ: ٢٧٨. سير الأعلام: ٢٧٠/١٣. حاشية التحبير: ١٩٦/١. العبر: ٤٤٢/١، ٤٤٤. الإكمال: ٣٩٦/٤. ديوان الإسلام: ت: ٥٨٧. وفيات الاعيان: ٤ / ٢٧٨، تذكرة الحفاظ: ٢ / ٦٣٣ ـ ٦٣٥، عبر المؤلف: ٢ / ٦٢ ـ ٦٣، البداية والنهاية: ١١ / ٦٦ ـ ٦٧، النجوم الزاهرة: ٣ / ٨٨، طبقات الحفاظ: ٢٧٨، خلاصة تذهيب الكمال: ٣٥٥، شذرات الذهب: ٢ / ١٧٤ ـ ١٧٥.

- **تَلَامِيذُهُ وَمَنْ رَوَى عَنْهُ:**

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلُ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وَأَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ دَاوِدَ الْمَرْوَزِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَسْنَوَيْهِ الْمُقْرِئُ، وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسِفَ النَّسَفِيُّ، وَأَسَدُ بْنُ حَمْدَوَيْهِ النَّسَفِيُّ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ يُوسِفَ الْفَرَبْرَيُّ، وَحَمَّادُ بْنُ شَاكِرٍ الْوَرَّاقُ، وَدَاوُدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ سُهَيْلٍ الْبَزْدَوِيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ حَيَّانَ الْبَاهِلِيُّ ...، وَآخَرُونَ.

وَقَدْ كَتَبَ عَنْهُ شَيْخُهُ أَبُو عَبْدِاللَّهِ الْبُخَارِيُّ، فَقَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي حَدِيثِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ «**يَا عَلِيُّ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْنُبَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرِي وَغَيْرُكَ**»: سَمِعَ مِنِّي مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْمَاعِيلَ هَذَا الْحَدِيثَ.

- **فَضْلُهُ وَثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ:**

ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ وَقَالَ: كَانَ مِمَّنْ جَمَعَ وَصَنَّفَ وَحَفِظَ وَذَاكَرَ.

وَقَالَ الْخَلِيلِيُّ: ثِقَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْحَاكِمُ أَبُو أَحْمَدَ: سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ عِلَّانَ يَقُولُ: مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، وَلَمْ يَخْلُفْ بِخُرَاسَانَ مِثْلَ أَبِي عِيسَى فِي الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ، بَكَى حَتَّى عَمِيَ.

وَقَالَ أَبُو الْفَضْلُ الْبَيْلَمَانِي: سَمِعْتُ نَصْرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الشَّيْرَكُوهِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى التِّرْمِذِيَّ يَقُولُ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَا انْتَفَعْتُ بِكَ أَكْثَرَ مِمَّا انْتَفَعْتَ بِي.

وَقَالَ الْإِدْرِيسِيُّ: كَانَ التِّرْمِذِيُّ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، صَنَّفَ الْجَامِعَ وَالتَّوَارِيخَ وَالْعِلَلَ تَصْنِيفَ رَجُلٍ عَالِمٍ مُتْقِنٍ، كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحِفْظِ، وَنَقَلَ أَبُو سَعْدٍ الْإِدْرِيسِيُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ، أَنَّ أَبَا عِيسَى قَالَ: كُنْتُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَكَتَبْتُ جُزْأَيْنِ مِنْ حَدِيثِ شَيْخٍ، فَوَجَدْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّ الْجُزْأَيْنِ مَعِي، فَسَأَلْتُهُ، فَأَجَابَنِي، فَإِذَا مَعِيَ جُزْآنِ بَيَاضٍ، فَبَقِيَ يَقْرَأُ عَلَيَّ مِنْ لَفْظِهِ، فَنَظَرَ، فَرَأَى فِي يَدِيَ وَرَقًا بَيَاضًا، فَقَالَ: أَمَا تَسْتَحِي مِنِّي؟ فَأَعْلَمْتُهُ بِأَمْرِي، وَقُلْتُ: أَحْفَظُهُ كُلَّهُ.

قَالَ: اقْرَأْ. فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُصَدِّقْنِي، وَقَالَ: اسْتَظْهَرْتَ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ؟ فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي بِغَيْرِهِ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي بِأَرْبَعِينَ حَدِيثًا، ثُمَّ قَالَ: هَات.

فَأَعَدتُّهَا عَلَيْهِ، مَا أَخْطَأْتُ فِي حَرْفٍ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَهَذَا مَعَ الْحِكَايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَنِ التِّرْمِذِيِّ يَرُدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وُلِدَ أَكْمَهَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: وُلِدَ أَعْمَى، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَضَرَّ فِي كِبَرِهِ، بَعْدَ رِحْلَتِهِ وَكِتَابَتِهِ الْعِلْمَ.

● **ابْنُ حَزْمٍ لَمْ يَعْرِفِ التِّرْمِذِيَّ.**

قَالَ ابْنُ حَجَرَ: وَأَمَّا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ فَإِنَّهُ نَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِعَدَمِ الْإِطِّلَاعِ، فَقَالَ فِي كِتَابِ الْفَرَائِضِ مِنَ الْاتِّصَالِ «**مُحَمَّدِ بْنُ عِيسَى بْنُ سُورَةَ مَجْهُولٌ**» وَلَا يَقُولَنَّ قَائِلٌ لَعَلَّهُ مَا عَرِفَ التِّرْمِذِي وَلَا اطَّلَعَ عَلَى حِفْظِهِ وَلَا عَلَى تَصَانِيفِهِ فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ اطْلَقَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ فِي خَلْقٍ مِنَ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الثِّقَاتِ الْحُفَّاظِ كَأَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ الْأَصَمِّ وَغَيْرِهِمْ وَالْعَجَبَ أَنَّ الْحَافِظَ ابْنَ الْفَرَضِيِّ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ وَنَبَّهَ عَلَى قَدْرِهِ فَكَيْفَ فَاتَ ابْنَ حَزْمٍ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ فِيهِ.

● **كِتَابُهُ السُّنَنِ:**

عَنْ أَبِي عَلِيٍّ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ الْخَالِدِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو عِيسَى: صَنَّفْتُ هَذَا الْكِتَابَ، وَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ الْحِجَازِ، وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، فَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا الْكِتَابَ - يَعْنِي «**الْجَامِعَ**» - فِي بَيْتِهِ، فَكَأَنَّمَا فِي بَيْتِهِ نَبِيٌّ يَتَكَلَّمُ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: فِي «**الْجَامِعِ**» عِلْمٌ نَافِعٌ، وَفَوَائِدُ غَزِيرَةٌ، وَرُؤُوسُ الْمَسَائِلِ، وَهُوَ أَحَدُ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، لَوْلَا مَا كَدَرَهُ بِأَحَادِيثَ وَاهِيَةٍ، بَعْضُهَا مَوْضُوعٌ، وَكَثِيرٍ مِنْهَا فِي الْفَضَائِلِ.

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُالرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِالْخَالِقِ: «**الْجَامِعُ**» عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ مَقْطُوعٌ بِصِحَّتِهِ، وَقِسْمٌ عَلَى شَرْطِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ كَمَا بَيَّنَّا، وَقِسْمٌ أَخْرَجَهُ لِلضِّدِّيَّةِ، وَأَبَانَ عَنْ عِلَّتِهِ، وَقِسْمٌ رَابِعٌ أَبَانَ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا أَخْرَجْتُ فِي كِتَابِي هَذَا إِلَّا حَدِيثًا قَدْ عَمِلَ بِهِ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، سِوَى حَدِيثِ: «**فَإِنْ شَرِبَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ**» وَسِوَى حَدِيثِ: «**جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالْمَدِينَةِ، مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا سَفَرٍ**».

قُلْتُ: «**جَامِعُهُ**» قَاضٍ لَهُ بِإِمَامَتِهِ وَحِفْظِهِ وَفِقْهِهِ، وَلَكِنْ يَتَرَخَّصُ فِي قُبُولِ الْأَحَادِيثِ، وَلَا يُشَدِّدُ، وَنَفْسُهُ فِي التَّضْعِيفِ رَخْوٌ(**).

وَفِي «**الْمُنْتَقَى**» لِابْنِ ظَاهِرٍ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْمَاعِيلَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ يَقُولُ: جَامِعُ التِّرْمِذِيِّ أَنْفَعُ مِنْ كِتَابِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، لِأَنَّهُمَا لَا يَقِفُ عَلَى الْفَائِدَةِ مِنْهُمَا إِلَّا الْمُتَبَحِّرُ الْعَالِمُ، وَ«**الْجَامِعُ**» يَصِلُ إِلَى فَائِدَتِهِ كُلُّ أَحَدٍ.

(**) وقد انتقد الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (كتاب الترمذي) في أكثر من ترجمة في كتابه «ميزان الاعتدال» تصحيح الترمذي، أو تحسينه، وبين أنه لا يعتمد قوله في ذلك إذا انفرد، وفي الحديث علة تمنع من القول بصحته. **فقد قال في ترجمة كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني - ٣ / ٤٠٧ -:** قال ابن معين: ليس بشئ، **وقال الشافعي وأبو داود:** ركن من أركان الكذب، وضرب أحمد على حديثه، وقال الدارقطني وغيره: متروك. =

● **وَفَاتُهُ:**

قَالَ غِنْجَارُ وَغَيْرُهُ: مَاتَ أَبُو عِيسَى فِي ثَالِثَ عَشْرَ رَجَبٍ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ بِتِرْمِذِ.

وَمَنْ أَرَادَ الْإِزْدِيَادَ عَنِ الْإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ وَكِتَابِهِ فَلْيَرْجِعْ إِلَى مُقَدِّمَةِ تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ شَرْحِ جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ فَقَدْ كَتَبَ فِيهِمَا مَا يَزِيدُ عَلَى مُجَلَّدٍ.

رَحِمَ اللَّهُ الْإِمَامَ الْحَافِظَ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ، وَجَمَعَنَا وَإِيَّاهُ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ.....

إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ... اللَّهُمَّ آمِينَ

= **وقال أبو حاتم:** ليس بالمتين.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال مطرف بن عبد الله المدني: رأيته، وكان كثير الخصومة، لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ عنه...وأما الترمذي: فروى من حديثه: «الصلح جائز بين المسلمين» وصححه.

فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي.

وقال في ترجمة يحيى بن يمان: ٤ / ٤١٦، بعد ذكر حديث ابن عباس أن النبي ﷺ دخل قبرا ليلا، فأسرج له سراج،: حسنه الترمذي مع ضعف ثلاثة فيه، فلا يعتد بتحسين الترمذي، فعند المحاققة غالبها ضعاف».

وقال في ترجمة محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني الكوفي: ٣ / ٥١٤: قال ابن معين: قد سمعنا منه، ولم يكن بثقة، وقال مرة: كان يكذب وقال أحمد: ما أراه يسوى شيئا، وقال النسائي: متروك.

وقال أبو داود: ضعيف، وقال مرة: كذاب.

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي...ثم قال، بعد ذكر حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا: يقول الله: من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين: حسنه الترمذي، فلم يحسن.

وقال ابن رجب في «شرح العلل»: ١ / ٣٩٥: واعلم أن الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ خرج في كتابه الحديث الصحيح، والحديث الحسن - وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف - والحديث الغريب...والغرائب التي خرجها، فيها بعض الكبائر، ولا سيما في كتاب الفضائل، ولكنه يبين ذلك غالبا، ولا يسكت عنه، ولا أعلمه خرج عن متهم بالكذب، متفق على اتهامه حديثا بإسناد منفرد، إلا أنه قد يخرج حديثا، مرويا من طرق، أو مختلفا في إسناده وفي بعض طرقه متهم، وعلى هذا الوجه خرج حديث محمد بن سعيد المصلوب، ومحمد بن السائب الكلبي.

نعم، قد يُخَرِّج عن سيئ الحفظ، وعمن غلب على حديثه الوهم، ويبين ذلك غالبا، ولا يسكت عنه.

ويخرج حديث الثقة الضابط، ومن يهم قليلا، ومن يهم كثيرا، ومن يغلب عليه الوهم يخرج حديثه نادرًا، ويبين ذلك، ولا يسكت عنه.